

الذكتور عبد القادر صحراوي

الأولياء والتصوف في الجزائر
خلال العهد العثماني

1520-1830 م

دار
الحميم

الأستاذ صحراوي عبد القادر من مواليد 06 ماي 1959 بسيدي بلعباس،
متزوج وأب لأربعة أولاد، يشغل الآن وظيفة أستاذ محاضر في التاريخ
بجامعة سيدي بلعباس.



تحصل على شهادة البكالوريا آداب بسيدي بلعباس في جوان 1979،
ثم على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة وهران في جويلية
1984، وشهادة الكفاءة الأستاذية للتعليم الثانوي في جانفي 1987
بمدينة مغنية في ولاية تلمسان.

اشتغل أستاذا للتعليم الثانوي ما بين سبتمبر 1983 وديسمبر 2002، قبل أن يتحصل على
شهادة الماجستير في التاريخ القديم من جامعة وهران في سبتمبر 2002، وشهادة الدكتوراه
في التاريخ الحديث والمعاصر في جوان 2009. شارك المؤلف في العديد من الملتقيات الوطنية
والدولية داخل الجزائر وخارجها، ونشر العديد من المقالات التاريخية في دوريات وطنية ودولية
خاصة في تونس والمملكة المغربية، وصدر له كتاب تحت عنوان: "التحصينات العسكرية
بنوميديا وموريطانيا القيصرية خلال عهد الاحتلال الزوملي" دار الهدى - عين مليلة - 2011.

يشرف الآن على مجموعة من طلبة الماجستير حول موضوع: "الجزائر والعالم المتوسطي
خلال العهد العثماني"، وكذا على طلبة الدكتوراه في نفس الفترة التاريخية، وهو عضو فرقة
بحث حول الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال مخطوط قانون الأسواق لمدينة
الجزائر خلال العهد العثماني، ثم مشروع أوقاف الحرمين الشريفين وكذلك عضو مشروع بحث
وطني "PNR" حول الموريسكيين المسلمين منذ 2012، بالإضافة إلى ترأسه لتحرير مجلة "الحوار
المتوسطي" التي يصدرها مخبر البحوث والدراسات الإستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي.

هذا الكتاب :

يتناول هذا المؤلف "التصوف والمتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830"
ظاهرة التصوف ودور الصوفية في الحياة السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، وعلاقة
هؤلاء بالسلطة العثمانية، إضافة إلى دورهم الاجتماعي. إن هذا البحث تاريخي بحث يبتعد
عن التصوف الفلسفي المصبوغ بالروحانيات والميل إلى البدع والخرافات.

أهم ما يستعرض الكتاب :

- ظاهرة التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني.
- الدور السياسي والاجتماعي للصوفية وردود السلطة العثمانية.
- نماذج من متصوفة الجزائر العثمانية وعلاقتهم بالسلطة.
- السياسة الدينية للسلطة العثمانية ومواجهة الحركة الصوفية.



9 789931 031796



www.editionsbouma.com
e-mail: info@editionsbouma.com

مقدمة

يحتل التصوف مكانة أساسية في تاريخ الإسلام والمجتمعات الإسلامية، ويعتبر ظاهرة إسلامية أصيلة، بنيت على التقوى واستهدفت تنمية القيم الروحية. وإن التصوف ككل حركة دينية استمد عناصره، ونشأ وتطور في ظل التطورات الشاملة التي مرّ بها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وكان نتيجة مباشرة له. وأصبح مذهباً منظماً أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث الهجري، وصار للصوفية أساتذة وتلاميذ وقواعد للسلوك. ولكثرتهم بذلوا ما في وسعهم من جهد للتوفيق بين تصوفهم وبين القرآن والسنة اللذين اتخذوهما أساساً لجميع أقوالهم وأفعالهم.

ومن ثمّ فإذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق، أدركنا أنّه خرج من رحم الدين الإسلامي، ثم انتشر بين الأقطار الإسلامية خلال الفترتين الوسيطة والحديثة. وتعدّ الجزائر أحد هذه الأقطار التي هيمنت فيها الالتزامات الصوفية خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وهي فترة غنية بالأحداث والتطورات التاريخية.

أولاً : الأهمية العلمية للموضوع.

تبرز مكانة التصوف الأساسية في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر خلال الفترة المدروسة، في مساهمة هذه الظاهرة في انتشار مبادئ الطريقة وتجميع الناس حول المتصوفة والسلطة السياسية العثمانية. ويعود الفضل في ذلك إلى تنقل العلماء ورجال التصوف بين مختلف أنحاء البلاد وخارجها، ونشرهم للأفكار والأسس التي قام

عليها التصوف، وصاحب البناء السياسي الحديث بالجزائر، المثل الشديد إلى الدين والحياة الصوفية على وجه التحديد. وبحسبكم أن الخلافة العثمانية بنيت على أساس التصوف والطريقة، فقد شجع الأتراك العثمانيون التصوف، وسعوا إلى كسب ودّهم ونشر طرقهم سعياً إلى تثبيت حكمهم، وتوطيد سلطتهم بالجزائر. إلا أننا نشير إلى أن الحركة الصوفية وجدت بالجزائر قبل العثمانيين، فلم يوجد لها هؤلاء، ولم يجلوها معهم، فكما قد يتبادر إلى الأذهان وإن الظروف التاريخية هي التي حوكت البلاد إلى مجال خصب لتعم وانتشار وشيوع التصوف بين عامة الناس وخاصتهم.

ومما يلاحظ على التصوف خلال هذه الفترة، تسرب مظاهر الدجل والإنحراف إليه، وتحولت من ظاهرة نفسية فردية إلى ظاهرة اجتماعية يشارك فيها جمهرة الناس، ومن هنا فكان خطرهم على حياتهم وتأثيره على شتى مرافقها، ويبدو هذا الدور في أكمل صورة وأوضحها في تصوف الجزائر أيام العثمانيين، ويشكل هذا موضوع البحث الذي نحن بصدد.

وإن الدراسات التي قام بها الغربيون¹ حول التصوف والتصوفة بالجزائر قد أظهرت عجزها، وعدم قدرتها على البحث الموضوعي في وجود هذه الظاهرة المتجسدة في الطرق الصوفية ودورها الاجتماعي والسياسي ويتجلى عدم الموضوعية في الدراسات الغربية في أن أصحابها لم يكتفوا من العلماء المتخصصين ولا من الراغبين في البحث الموضوعي النزيه، فلم في الأصل موظفين رسميين، بل إن منهم من

¹ Coppolani(X), Depont (O), Les confréries religieuses musulmanes, Alger, A.Jourdan, 1897; Rinn (L), Marabouts et Khous: étude sur l'Islam en Algérie, Alger, A.Jourdan, 1884.

فكان يحتل مرتبة سامية في جيش الاحتلال الفرنسي، ولم يكن همهم من دراساتهم سوى تصوير وضعية تلك الطرق الصوفية، بحيث تبرز وتمهد السبيل أمام الجيش الفرنسي لتسقط نفوذه وتعزيز احتلاله، ومن ثم تأتي هذه الدراسات ناقصة ومطبوعة بروح استعمارية لا تمت إلى البحث التاريخي الموضوعي بصلة.

تحاول هذه الدراسة التأريخ للتصوف والتصوفة خلال العهد العثماني بالجزائر، نظراً لترصيص جيل المؤرخين والباحثين على الفترة المعاصرة للبلاد دون بقية الفترات، ومنها الفترة العثمانية التي قلما اهتم بها الباحثون الجزائريون اللهم إلا إذا استثنينا بعض الأعمال التاريخية² وإن السعي إلى تفسير الظواهر التاريخية في الجزائر العثمانية يقتضي تناول الأحداث بالدراسة المفصلة خاصة ما مرّ بالجزائريين من حركات دينية ومظاهر حضارية إسلامية. ومما يستهدفه هذا البحث تفسير الحياة الجزائرية في العهد العثماني، أو العكس من ظواهرها على ضوء التصوف، الذي يمثل في رأي الكثير من الناس زبدة الدين وخلاصته، وقد شاع واستفعل أمره واستشرى دأؤه واستبد بعواطف الجزائريين. وكان أكبر العوامل في توجيه حياتهم في هذا العهد وما بعده، ولم ينهأ لأهله هذا النفوذ الذي مكّنه من السيطرة على الحياة الجزائرية إلا في العصر العثماني، فكما ستوضحه لاحقاً.

فكما كان للتصوفة الجزائريين في العهد العثماني نظرات وآراء في مختلف نواحي الحياة، مثل الحياة العلمية والعقلية والسياسية والخلقية والعملية، وهو ما جعل تأثيرهم يشمل المنطقة

² يمكننا أن نذكر منها أعمال: أبو الحاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998؛ تاسر الدين، سعدوني، دراسات والبحوث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، الجزائر، موح صك، 1984.

العثمانية وعامة الجزائريين. وتجدر الإشارة إلى أن علاقة المتصوفة بالسلطة العثمانية قد مرّت بمرحلتين، تميزت المرحلة الأولى بالتحالف الديني والاستراتيجي لمواجهة التهرشات الأوروبية وتحرير البلاد من الهيمنة المسيحية، بينما شهدت المرحلة الثانية في أواخر القرن 18 م توتر العلاقات بين الطرفين اندلاع الثورات بقيادة زعماء الطرق الصوفية التي استمرت في القرن الموالي.

وأدى هذا الأمر إلى إضعاف البلاد ودخولها في صراعات داخلية وخارجية أفقدت السلطة العثمانية هيبتها، مما حفز الأوروبيين إلى التمسك بالسلطة على الجزائر والسعي إلى استعمارها، وهو الأمر الذي حدث على يد الفرنسيين.

غير أنه لا يمكننا تعميم التصوف العملي المصبوغ بالخرافات والسجل على جميع المتصوفة، ذلك أن البلاد شهدت بزوغ تصوف إسلامي صرف مطابق للقرآن والسنة النبوية الشريفة، مثله شخصيات جزائرية متعددة في مختلف أنحاء الإيالة. ووقف الكثير من هذه الشخصيات موقفاً معادياً للسلطة العثمانية، نظراً للتجاوزات التي ميزت الحكم العثماني خاصة خلال القرن 18م، وهو القرن الذي عرف تراجعاً في مداخليل الجهاد البحري، وإتقال سكان الجزائر إلى الضرائب.

ثانياً : الإطار التاريخي

تعمل الفترة المدروسة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر فترة حاسمة في تاريخ الجزائر، ذلك أنها شهدت مجيء العثمانيين لتجدة الجزائريين جراء التهرشات المتواصلة للمسيحيين الإسبان وغيرهم. فكما عرفت انتشر الجهاد والحماس الديني لدى المعتدين على البلاد الجزائرية. من خلال استقراء المصادر المخطوطة، والوثائق الأرشيفية والأعمال التاريخية العربية والأجنبية، يظهر لنا التحالف الاستراتيجي بين

رجال التصوف والمرابطين والسلطة العثمانية، واستمر هذا التحالف طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتخلله بعض النزاعات والصراعات.

عرفت هذه المرحلة التاريخية تجمع الأوروبيين في حلف واحد مقدس لمواجهة الجزائر، التي شنت ضدها عدة هجمات، ووجهت ضدها عدة حملات مثل حملتي شارل الخامس "Charles Quint" في سنة 1541م، وأورليي "Orreilly" في سنة 1775م بدعوى وضع حد للفرصة الجزائرية. على أن المرابطين والمتصوفة قد ساهموا مساهمة فعالة في تحرير الكثير من مدن الإيالة الجزائرية، ومنه تحرير مدينة وهران في سنة 1792م. هذه السنة التي عرفت نهاية التحالف العثماني المرابطي مما شجع على انتشار الثورات القبلية بقيادة رجال الصوفية والطوقية. فكما تميزت فترة أواخر القرن الثامن عشر بالفوضى السياسية وعدم الاستقرار بسبب الصراع على الحكم، وانتشار الاغتيالات السياسية على يد الانتكشارية، ومضاعفة الضرائب على المسككين ونجم عن هذه التطورات العامة بالجزائر خلال القرن 18م، استمرار الأعمال الثورية في القرن التاسع عشر وبداية الاحتلال الفرنسي.

ثالثاً : المنهجية

يتقضي منهج البحث العلمي أن يبدأ الباحث موضوعه وهو على جهل به، فإن لم يتهيأ له هذا الجهل، وجب أن يصبغته فيتجاهل موضوعه، ويحاول أن ينسى كل ما يعرفه بشأنه، فلا يضع في مستهل دراسته رأياً ويعمل طوال بحثه على تأييده أو نقضه، فإن ذلك من شأنه أن يلفت الباحث لكل ما يؤيد وجهة نظره، ويعميه عن كل ما ينقضها ويبعث في عقله الشك في أمرها. ولذلك كانت غايته من وراء البحث في التصوف الجزائري هي البحث نفسه، والسعي إلى معرفة المجهول من أفاق الموضوع والتقانة بهذه المعرفة. وانطلاقاً من هذا اتبعنا المنهج

التاريخي الوصفي الذي يعتمد على تجميع الأحداث التاريخية ووصفها ، ثم التعليق عليها. غير أنه يجب التمييز بين المنهج العلمي والمقاربة الذاتية من أجل التوصل إلى المعرفة الصوفية ، والتأريخ للتصوف والحركة الطرقية بالجزائر ما بين القرنين 16 و 18 م. ويستلزم ذلك دراسة أخصار المتصوفة وأفعالهم ، والاهتمام بالفردات الصوفية ، فكما يجب على الباحث عدم إغفال أن الصوفي محكوم بمصطلحات تأويلية يستعملها سعيًا إلى التقرب من خالقه.

وعلى الرغم من تكوين هذا البحث محاولة جريئة إلا أنها صعبة ومعقدة ، نظرا لصعوبة الحصول على المصادر الأصلية مثل المخطوطات التي اطلعنا على بعضها في المكتبة الوطنية الجزائرية وتحصلنا على أخرى من الأستاذ المشرف. ولم يمكن في مقدورنا الحصول على بعض المخطوطات التي تملكها بعض العائلات المرابطية التي ترفض تسليمها للباحثين خوفا من ضياعها ، أو لأسباب مجهولة أخرى. وإذراكنا لأهميتها ركزنا في بحثنا على المطبوع منها ، والتكثير من المراجع خاصة تلك التي تحصلنا عليها خلال زيارتنا لفرنسا وتونس والمغرب الأقصى ، والزواوية الرحمانية بمدينة طولقة في ولاية بسكرة. وقد حاولنا خلال دراستنا هذه تقصي الحقائق التاريخية متبعين في ذلك منهجا يقوم على مقابلة الوثائق، ونصوص المخطوطات، وتحليل شكل ذلك تمهيدا لاستنباط الحقائق التي يمكن أن يدور حولها موضوع التصوف.

وانطلاقا من هذا قسمنا موضوع الدراسة إلى مدخل تناولنا فيه ظاهرة التصوف في الإسلام وتطوره حتى بداية العهد العثماني بالجزائر في القرن السادس عشر ، ثم أربعة فصول ، تطرقت في الفصل الأول إلى ظاهرة التصوف في الجزائر العثمانية. أما الفصل الثاني فيتنا فيه الدور السياسي والاجتماعي للصوفية ، وردود فعل السلطة العثمانية، وركزنا

في الفصل الثالث على نماذج من متصوفة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة العثمانية ، وبحكم عددهم الكبير اخترنا الحديث عن ثلاثة منهم ، وهم عبد الرحمان الأخضرى ، وعبد المكرم الفسكون ، والحسين الورتلاني. أما الفصل الرابع فيبحث فيه السياسة الدينية للسلطة العثمانية ومواجهة الحركة الصوفية ، وانتهينا من دراستنا بخاتمة ضمناها بعض الاستنتاجات الخاصة بالبحث.

ولا يفوتنا هنا أن نتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور حنيقي هلايلي ، الذي تلقينا منه شكل الدعم والمساندة ، ولا ننسى أن ننوه أيضا بمساعدة بعض الزملاء والأصدقاء ، في المكتبات والجامعات الجزائرية ، على ما قدموه لنا من مساعدات وآراء سديدة فكانت لنا خير عون من أجل إعداد هذا الكتاب.

وبالله التوفيق

سيدي بلعباس

الإثنين 4 رجب 1437 هـ / 11 أبريل 2016 م.

كشاف الموضوعات

83	5-الاستجداد بالعثمانيين.....
	ثالثا : مواقف وردود فعل المتصوفة والأولياء اتجاه الحكم
87	العثماني بالجزائر.....
90	1-السلطة العثمانية بالجزائر.....
92	2-تنظيم الحكم العثماني.....
96	3-الحركة الصوفية : ابتذال واندماج.....
101	4-طرق صوفية جامدة.....
104	5-المقاومة المحلية وأزدواجية السلطة.....
107	6-المنافسة السياسية والرد الصوفي.....
112	رابعا : الجدال السياسي والفقه من أجل السلطة.....
116	1. انتشار الإفتاء ومناورات الحكم.....
	2. تطور الجدال بين الفقهاء الصوفية والفقراء وانعكاسه
118	على الحكم.....
	الفصل الثاني : الدور السياسي والاجتماعي للصوفية وردود
121	السلطة العثمانية.....
121	أولا : المرابطون المتصوفون والوساطة السياسية.....
125	1-الامتيازات العثمانية للصوفية والمرابطين.....
127	2-الوساطة الصوفية والسلطة القضائية العثمانية.....
132	3-الحماية الصوفية وتأثيراتها النفسية على أفراد المجتمع.....

135	4-الزوايا ودورها كمرآة إشعاع وتأثير في المجتمع.....
143	ثانيا : عظمة الحركة الصوفية وتراجع الحكم العثماني.....
143	1-إقطاعات المرابطين وقوتها.....
153	2-تراجع السلطة العثمانية.....
158	3-تفريق الإقطاعات الصوفية.....
161	4-تحول وتجدد الحركة الصوفية : ميلاد جماعة الإخوان.....
171	5-عهد الإخوان والاحتكاك بالعثمانيين.....
	الفصل الثالث : نماذج من متصوفة الجزائر العثمانية
179	وعلاقتهم بالسلطة.....
179	أولا : عبد الرحمان الأخضرري.....
179	1-حياته.....
180	2-مؤلفاته.....
191	3-تصوفه.....
197	4-علاقته بالسلطة.....
199	ثانيا : عبد الكريم الفخكون.....
199	1. أسرته.....
204	2. نشأته.....
211	3. مؤلفاته وتصوفه.....
211	أ. مؤلفاته.....
223	ب. تصوفه.....

228	4. علاقته بالعثمانيين.....
232	ثالثا : الحسين الورثاني.....
232	1-التعريف بالورثاني.....
241	2-آثاره ومؤلفاته.....
244	- رحلة الورثاني.....
250	1-تصوفه.....
255	2-معتقداته الدينية والسياسية وعلاقته بالعثمانيين.....
	الفصل الرابع : السياسة الدينية للسلطة العثمانية ومواجهة
261	الحركة الصوفية.....
261	1. إصلاحات صالح باي ومحمد الكبير.....
277	2. سير الطرق الصوفية وظروف الأزمة.....
282	3. السياسة الدينية للسلطة العثمانية وتداعياتها العامة.....
289	4. ثورات الطرق الصوفية وانعكاساتها على الإنابة.....
299	أ- ثورة الطريقة الدرقاوية.....
301	1. الثورة في بابلک الشرق.....
305	2. الثورة في بابلک الغربی.....
310	ب- ثورة الطريقة التيجانية.....
321	خاتمة.....
325	قائمة المصادر والمصادر.....
347	مكتشف الموضوعات.....